بيت جرجا

قرية بيت جرجا – قضاء غزة

بيت جرجا قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء غزة، كانت تقوم فوق أرض مستوية في السهل الساحلي الجنوبي على بعد نحو 15.5 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة، وعلى ارتفاع يقارب 50 مترًا عن سطح البحر. وكانت تبعد نحو كيلومتر واحد عن الطريق الساحلي العام ومسافة مشابهة عن خط سكة الحديد الساحلي، الأمر الذي ربطها بغزة والمجدل ويافا وغيرها من مدن وقرى الساحل.

بلغ عدد سكان بيت جرجا 619 نسمة في تعداد فلسطين الرسمي لسنة 1931، وارتفع إلى 940 نسمة في إحصاءات 1944/1945. وبلغت مساحة أراضيها 8,481 دونمًا. احتلت قوات الاحتلال الإسرائيلي القرية في المرحلة الأخيرة من القتال في جنوب فلسطين سنة 1948، في سياق عملية يوآف، لكن اليوم الدقيق لسقوطها لا يمكن تحديده بثقة؛ إذ تتراوح الروايات بين أواخر تشرين الأول/أكتوبر والأيام الأولى من تشرين الثاني/نوفمبر 1948.

موقع قرية بيت جرجا

كانت بيت جرجا قائمة في السهل الساحلي الجنوبي، ويخترق وادي العبد الطرف الغربي من أراضيها، وهو من روافد وادي الحسي المتجه نحو البحر المتوسط.

وقعت القرية على مسافة نحو كيلومتر إلى الشرق من الطريق الساحلي العام، وعلى مسافة مشابهة من خط سكة الحديد الساحلي. وأتاح ذلك لأهلها سهولة الاتصال بمدينة غزة جنوبًا والمجدل شمالًا، ومنها إلى يافا وسائر مدن الساحل.

كما ربطتها طرق فرعية ودروب ترابية بالقرى المجاورة.

حدود بيت جرجا والقرى المجاورة

وفق توثيق فلسطيني محلي لحدود الأراضي، جاورت بيت جرجا:

الاتجاه	القرية / الأراضي المجاورة
الشمال	بربرة
الشرق والجنوب الشرقي	سمسم
الجنوب	دير سنيد
الغرب	هربيا

أما خرائط الجوار فتظهر أيضًا بيت طيما وحليقات والجية ودمرة ضمن المجال الجغرافي القريب. ويجب التمييز بين القرية القريبة وبين القرية التي تشترك أراضيها مباشرة في حد عقاري مع أراضي بيت جرجا.

اسم بيت جرجا وتاريخها

ذكر الجغرافي العربي ياقوت الحموي، المتوفى سنة 1229، المكان باسم «جرجا»، وقال إنه مسقط رأس أبي الفضل الجرجي، الذي كان من محدّثي فلسطين في عصره.

وفي سنة 1596 ظهرت بيت جرجا في سجلات الضرائب العثمانية ضمن ناحية غزة التابعة للواء غزة، وإن كان اسمها قد دوّن خطأ بصيغة «بيت خرجا». ويُقدّر عدد سكانها آنذاك بنحو 468 نسمة.

وكان الأهالي يؤدون الضرائب على القمح والشعير وأشجار الفاكهة والماعز وخلايا النحل، ما يدل على تنوع النشاط الزراعي والرعوي في القرية.

ويذكر وليد الخالدي أن القرية العثمانية اندثرت في مرحلة غير محددة. وكان نقش حجري في مسجد القرية يشير إلى

أن بيت جرجا الحديثة أُنشئت سنة 1825، أو ربما قبل ذلك بقليل.

وفي منتصف القرن التاسع عشر وُصفت بأنها قرية صغيرة تحيط بها الجنائن، وتتزود بالمياه من الصهاريج وبركة.

العمران في بيت جرجا

كان مخطط القرية يشبه شبه المنحرف، وكانت القاعدة الأطول في جهة الشمال الغربي، حيث وقع معظم التوسع العمراني بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية بربرة.

كانت المنازل في معظمها مبنية بالطين والطوب، وتفصل بينها أزقة ضيقة. وفي مركز القرية كانت توجد المدرسة الابتدائية وعدد من الدكاكين الصغيرة.

بلغت مساحة الأرض المبنية في إحصاءات 1944/1945 نحو 25 دونمًا.

سكان قرية بيت جرجا

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم / ملاحظات
1596	468	تقدير مستخرج من سجل ضريبي عثماني، وليس تعدادًا حديثًا
1922	397	تعداد فلسطين الرسمي؛ جميع السكان المسجلين مسلمون
1931	619	تعداد فلسطين الرسمي؛ 302 ذكور و317 إناث، وجميع السكان مسلمون
1944/1945	940	إحصاءات رسمية خلال الانتداب البريطاني؛ جميع السكان عرب
1948	1,090	تقدير لاحق في فلسطين في الذاكرة، وليس تعدادًا رسميًا
1998	6,696 لاجئًا وذريتهم	تقدير ديموغرافي لاحق في فلسطين في الذاكرة

ولا ينبغي وصف رقمي 1948 و1998 بأنهما من إحصاءات حكومة فلسطين خلال الانتداب؛ فهما تقديران لاحقان.

عدد البيوت في بيت جرجا

السنة	عدد البيوت	طبيعة الرقم
1931	115 منزلًا	تعداد فلسطين الرسمي
1948	202 منزل	تقدير لاحق في فلسطين في الذاكرة، وليس تعدادًا رسميًا

ملكية أراضي بيت جرجا

بلغ مجموع أراضي بيت جرجا في إحصاءات 1944/1945 نحو 8,481 دونمًا. ويعرض فلسطين في الذاكرة جدول الملكية بالمصطلحات التالية:

نوع الملكية	المساحة بالدونم
فلسطيني	8,015
تسرّبت للصهاينة	116
مشاع	350
المجموع	**8,481**

أما PalQuest فيحافظ على الفئات الأصلية في الإحصاءات الرسمية: 8,015 دونمًا «عرب»، و116 دونمًا «يهود»، و350 دونمًا «عام».

استخدام أراضي بيت جرجا سنة 1944/1945

نوع الاستخدام	عرب	يهود	عام	المجموع بالدونم
الحمضيات والموز	434	98	0	532
البساتين والأراضي المروية	618	18	0	636
الحبوب	6,911	0	0	6,911
الأرض المبنية	25	0	0	25
غير الصالحة للزراعة	27	0	350	377
المجموع	**8,015**	**116**	**350**	**8,481**

ويبين هذا التفصيل أن رقم 377 دونمًا من الأرض غير الصالحة للزراعة لا يمثل كله أرضًا فلسطينية خاصة؛ فهو يتكون من 27 دونمًا عربيًا و350 دونمًا من الأراضي العامة.

كما يتضح أن مجموع الأراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة بلغ 8,079 دونمًا، منها 7,963 دونمًا عربية و116 دونمًا يهودية.

الحياة الاقتصادية في قرية بيت جرجا

اعتمد اقتصاد بيت جرجا أساسًا على الزراعة، وساعدت خصوبة تربة السهل الساحلي ووجود المياه الجوفية على

تنوع المحاصيل.

زرع الأهالي الحبوب والخضروات والأشجار المثمرة. وفي سنة 1944/1945 خُصص 6,911 دونمًا للحبوب، و618 دونمًا عربيًا للبساتين والأراضي المروية، إضافة إلى 434 دونمًا عربيًا للحمضيات والموز.

وبلغ مجموع الأراضي المزروعة بالحمضيات والموز في كامل أراضي الوحدة الإحصائية 532 دونمًا، منها 434 دونمًا عربية و98 دونمًا يهودية.

وكان في مركز القرية عدد من الدكاكين الصغيرة التي وفرت بعض حاجات السكان اليومية، في حين ظلت الزراعة النشاط الاقتصادي الأهم.

المياه في بيت جرجا

اعتمد السكان على عدد من الآبار في مياه الشرب والري، وكان عمقها يتراوح بين نحو 30 و80 مترًا.

كما كان للموقع تاريخ أقدم في استخدام الصهاريج والبرك لتجميع المياه؛ فقد وصفت القرية في منتصف القرن التاسع عشر بأنها تتزود من الصهاريج ومن بركة.

وقد ساعد توافر المياه الجوفية على زراعة الخضروات والبساتين والحمضيات إلى جانب الحبوب البعلية.

التعليم في بيت جرجا

أُنشئت مدرسة ابتدائية في بيت جرجا سنة 1932، وكانت تقع في مركز القرية.

وبلغ عدد تلاميذها 67 طالبًا في أواسط الأربعينيات. وهذا الرقم موثق في المصدر الأساسي، ولذلك يمكن تمييزه عن أرقام المدارس غير الموثقة التي ترد في بعض الروايات المحلية لقرى أخرى.

المسجد ومقام النبي جرجا

كان سكان بيت جرجا من المسلمين، وكان في القرية مسجد. ومن أهمية المسجد التاريخية أن نقشًا حجريًا فيه أشار إلى إعادة إنشاء القرية الحديثة نحو سنة 1825.

كما كان الأهالي يعتنون بمقام يقع عند الطرف الشرقي من القرية ويشرف على وادي العبد، وكانوا يعتقدون أنه قبر «النبي جرجا».

وينبغي فهم نسبة القبر إلى النبي جرجا بوصفها معتقدًا وتقاليد محلية مرتبطة بالمقام، لا إثباتًا أثريًا قاطعًا لهوية المدفون.

الآثار في بيت جرجا

ظلت في القرية قبل النكبة بقايا من التجمع السابق للقرن التاسع عشر، ومنها أُسس منازل قديمة وإحدى الآبار.

كما كانت توجد خرب أثرية في الأراضي المحيطة، من أهمها خربة عمودة، التي عُرفت في المصادر الصليبية باسم «أموهده» (Amouhde). وعُثر فيها على شقف فخارية وصهاريج وبركة.

وتشير هذه الآثار إلى قِدم الاستيطان في المنطقة، لكن تحديد تاريخ كل بناء أو أثر ووظيفته يحتاج إلى دراسة أثرية متخصصة.

بيت جرجا قبيل الاحتلال سنة 1948

في النصف الثاني من سنة 1948 ظلت المنطقة الساحلية الواقعة بين المجدل وغزة تحت سيطرة القوات المصرية مدة أطول من مناطق كثيرة أخرى من فلسطين.

وبعد الهدنة الثانية، بدأ الجيش الإسرائيلي عملية يوآف في 15 تشرين الأول/أكتوبر 1948 بهدف اختراق الخطوط المصرية وربط القوات الإسرائيلية في النقب بالمناطق الواقعة إلى الشمال.

وكان للقصف المدفعي والجوي دور بارز في العملية. وينقل PalQuest أن الجيش الإسرائيلي استخدم المدفعية والغارات الجوية على نطاق واسع لتليين القرى قبل احتلالها، وهو ما أحدث أثرًا كبيرًا في سكان المنطقة.

عملية يوآف

استمرت عملية يوآف رسميًا من 15 تشرين الأول/أكتوبر حتى 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1948.

وشاركت فيها، على مستوى العملية العامة، ألوية غفعاتي ويفتاح وهنيغف/النقب وهرئيل، وكانت القوات المصرية الطرف العربي العسكري الرئيسي في الجبهة.

ومع تقدم العملية انهارت المواقع المصرية في أجزاء واسعة من جنوب فلسطين، واحتلت قوات الاحتلال الإسرائيلي معظم قرى قضاء غزة الواقعة شمال القطاع الذي بقي تحت الإدارة المصرية.

وكانت بيت جرجا ضمن القرى التي طالتها العملية في مرحلتها الأخيرة.

احتلال بيت جرجا وتهجير سكانها

لا يُعرف تاريخ احتلال بيت جرجا على وجه الدقة.

يضع فلسطين في الذاكرة تاريخ 30 تشرين الأول/أكتوبر 1948 في رأس صفحة القرية، وتكرر بعض المصادر

الفلسطينية المحلية هذا التاريخ. غير أن الرواية التفصيلية لوليد الخالدي أكثر تحفظًا، إذ تقول إن القرية احتُلت على الأرجح في أواخر تشرين الأول/أكتوبر أو أوائل تشرين الثاني/نوفمبر 1948.

وينقل الخالدي عن المؤرخ الإسرائيلي بني موريس احتمال أن تكون بيت جرجا قد احتُلت مع مدينة المجدل في 4–5 تشرين الثاني/نوفمبر، أو أن يكون سقوطها قد وقع قبل ذلك ببضعة أيام.

وهنا توجد مشكلة زمنية إضافية، لأن PalQuest يؤرخ النهاية الرسمية لعملية يوآف في 4 تشرين الثاني. ولذلك لا ينبغي تحويل 4–5 تشرين الثاني أيضًا إلى تاريخ قطعي؛ بل هو ترجيح منقول ضمن نطاق زمني يمتد من أواخر تشرين الأول إلى مطلع تشرين الثاني.

أما مصير السكان، فلا تقدم المصادر الأساسية رواية تفصيلية مستقلة لما وقع داخل بيت جرجا. وينقل الخالدي أن سكان المنطقة جميعهم تقريبًا فروا أو طُردوا خلال هذه المرحلة، واتجهوا في الأغلب إلى قطاع غزة.

لذلك فالأدق وصف تهجير أهالي بيت جرجا بأنه وقع في سياق الهجوم العسكري والسيطرة الإسرائيلية على المنطقة خلال المرحلة النهائية من عملية يوآف، من دون اختلاق تفاصيل غير موثقة عن كيفية خروج كل أسرة أو ساعة مغادرتها.

الوحدة العسكرية

لا يحدد مدخل وليد الخالدي الخاص ببيت جرجا اسم لواء واحد باعتباره القوة التي دخلت القرية؛ بل يقول إن ظروف الاحتلال التفصيلية غير متاحة.

وعلى مستوى عملية يوآف عمومًا شاركت ألوية غفعاتي ويفتاح وهنيغف وهرئيل. كما يضع فلسطين في الذاكرة احتمال أن تكون القوة التي هاجمت بيت جرجا قد جمعت عناصر من غفعاتي وهنيغف ويفتاح.

لكن هذا الاحتمال لا يكفي لتثبيت وحدة منفذة على مستوى القرية. لذلك لا يُنسب احتلال بيت جرجا في هذا المقال إلى لواء بعينه بصورة قطعية.

تسلسل الاحتلال

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
بدء عملية يوآف	15 تشرين الأول/أكتوبر 1948	بدأ الهجوم الإسرائيلي الواسع على الجبهة الجنوبية بهدف اختراق الخطوط المصرية وربط النقب بالمناطق الواقعة شماله.
تقدم قوات الاحتلال الإسرائيلي في قضاء غزة	النصف الثاني من تشرين الأول/أكتوبر 1948	تعرضت قرى المنطقة لقصف مدفعي وجوي مكثف، وسقط عدد متزايد من المواقع والقرى مع انسحاب القوات المصرية.

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
تاريخ مختصر مختلف في فلسطين في الذاكرة	30 تشرين الأول/أكتوبر 1948	يظهر هذا التاريخ في رأس صفحة القرية وبعض التوثيق المحلي، لكن الرواية التفصيلية لا تثبته بصورة قاطعة.
الفترة الأرجح لاحتلال بيت جرجا	أواخر تشرين الأول – أوائل تشرين الثاني/نوفمبر 1948	هذه هي الصياغة التي يرجحها وليد الخالدي في ظل غياب وصف تفصيلي لعملية احتلال القرية.
ترجيح 4–5 تشرين الثاني	4–5 تشرين الثاني/نوفمبر 1948	ينقل الخالدي احتمال احتلال بيت جرجا مع المجدل في هذه الفترة، مع احتمال أن يكون سقوطها قد حدث قبل ذلك ببضعة أيام.
تهجير السكان	خلال المرحلة النهائية من السيطرة على المنطقة	لا تتوافر رواية مستقلة تفصيلية للقرية؛ وتشير الرواية التي ينقلها الخالدي إلى أن سكان المنطقة فروا أو طُردوا في الأغلب باتجاه قطاع غزة.
تدمير معظم القرية	بعد الاحتلال؛ التاريخ الدقيق غير موثق	هُدم معظم عمران بيت جرجا، وبقي منزل واحد على الأقل قائمًا عند إجراء المسح الميداني اللاحق.

اللاجئون من بيت جرجا

يقدر فلسطين في الذاكرة عدد سكان بيت جرجا سنة 1948 بنحو 1,090 أشخاص، وهو تقدير لاحق وليس تعدادًا رسميًا من حكومة فلسطين.

ويقدر عدد لاجئي القرية وذريتهم سنة 1998 بنحو 6,696 شخصًا. وهذا كذلك تقدير ديموغرافي لاحق.

وتشير المصادر إلى أن الاتجاه الأساسي لسكان بيت جرجا بعد التهجير كان نحو قطاع غزة، شأنهم شأن غالبية سكان القرى الساحلية الواقعة في هذه المنطقة من قضاء غزة.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي قرية بيت جرجا

وفق وليد الخالدي وPalQuest، لا توجد مستعمرة إسرائيلية موثقة أُنشئت على أراضي بيت جرجا نفسها.

وتقع مستعمرات «مفكيعيم» (Mavqi'im) و«غيئا» (Ge'a) و«تلمي يافي» (Talmei Yafe) على أراضي قرية بربرة المجاورة. ويشير الخالدي إلى أن أراضي بربرة وبيت جرجا ربما كانت متداخلة في بعض المواضع، ولذلك تقع هذه المستعمرات على مقربة شديدة من أراضي بيت جرجا.

وتوجد مصادر فلسطينية محلية وصناديق مختصرة تنسب المستعمرات الثلاث إلى بيت جرجا أيضًا، إلا أن النص التفصيلي للخالدي لا يؤيد وصفها بأنها أُنشئت على أراضي القرية نفسها. لذلك يعتمد المقال التفريق الأكثر تحفظًا.

قرية بيت جرجا اليوم

وفق الوصف الميداني المنشور في كتاب وليد الخالدي، كان موقع القرية محاطًا بسياج من الأسلاك الشائكة، ولم تكن ظاهرة فيه إلا الأزقة وبقايا الركام.

وكان منزل واحد لا يزال قائمًا في الطرف الشمالي من القرية، إلى جانب عدد من أشجار الجميز ونباتات الصبار.

وكان جزء من أراضي القرية مستخدمًا للزراعة، بينما غطت الأحراش أجزاء أخرى منها.

هذا الوصف لا يمثل تحققًا ميدانيًا مباشرًا من حالة بيت جرجا في سنة 2026؛ فهو مستمد من العمل الميداني الذي أجري لمشروع «كي لا ننسى / All That Remains» قبل نشر الكتاب سنة 1992.

ويحتوي فلسطين في الذاكرة على صور جوية ومواد توثيقية وزيارات مصورة لاحقة للموقع، وهي مفيدة لمتابعة تحولات المكان، لكنها لا تشكل وحدها مسحًا ميدانيًا مستقلاً وشاملاً لكل أراضي القرية اليوم.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: بيت جرجا
- PalQuest – عملية يوآف
- فلسطين في الذاكرة – بيت جرجا، قضاء غزة
- فلسطين في الذاكرة – بيت جرجا من كتاب كي لا ننسى لوليد الخالدي
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وليد الخالدي، كي لا ننسى / All That Remains
- حكومة فلسطين – تعداد فلسطين لسنة 1922، نسخة الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني
- حكومة فلسطين – تعداد فلسطين لسنة 1931: ملخص التجمعات، نسخة الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني
- 1945 Village Statistics – بيانات السكان والأرض في فلسطين
- الموسوعة الفلسطينية – بيت جرجا
- فلسطين في الذاكرة – دراسة الباحث عباس نمر عن بيت جرجا؛ للمعلومات المحلية وحدود الأراضي
- PalQuest – منهجية ومصادر البحث الميداني في All That Remains